

تفسير ابن كثير

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ^{قل} قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ^{صل} تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ^{صل} وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ^{صل} قُلِ اللَّهُ ^{صل} ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ

يقول تعالى : وما عظموا الله حق تعظيمه ، إذ كذبوا رسله إليهم ، قال ابن عباس ومجاهد

وعبد الله بن كثير : نزلت في قريش . واختاره ابن جرير ، وقيل : نزلت في طائفة من

اليهود ؛ وقيل : في فنحاص رجل منهم ، وقيل : في مالك بن الصيف . (قالوا ما أنزل الله

على بشر من شيء) والأول هو الأظهر ؛ لأن الآية مكية ، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب

من السماء وقريش - والعرب قاطبة - كانوا يعدون إرسال رسول من البشر ، كما قال [

تعالى] (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس [وبشر الذين آمنوا أن

لهم قدم صدق عند ربهم]) [يونس : 2] ، وقال تعالى : (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ

جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون

مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) [الإسراء : 94 ، 95] ، وقال هاهنا : (

وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء (قال الله تعالى : (قل من

أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس) ؟ أي : قل يا محمد لهؤلاء

المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند الله ، في جواب سلبهم العام بإثبات قضية

جزئية موجبة : (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) يعني : التوراة التي قد علمتم -

وكل أحد - أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران نورا وهدى للناس ، أي : ليستضاء

بها في كشف المشكلات ، ويهتدى بها من ظلم الشبهات . وقوله : (تجعلونه قراطيس

تبدونها وتخفون كثيرا) أي : يجعلها حملتها قراطيس ، أي : قطعاً يكتبونها من الكتاب

الأصلي الذي بأيديهم ويحرفون فيها ما يحرفون ويبدلون ويتأولون ، ويقولون : (هذا من

عند الله) [البقرة : 79] ، أي : في كتابه المنزل ، وما هو من عند الله ؛ ولهذا قال : (

تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) وقوله : (وعلمتم ما لم تعلموا أأنتم ولا آباؤكم)

أي : ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ما سبق ، ونبأ ما يأتي ما لم تكونوا

تعلمون ذلك أنتم ولا آباؤكم . قال قتادة : هؤلاء مشركو العرب . وقال مجاهد : هذه

للمسلمين . وقوله : (قل الله) قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أي : قل : الله

أنزله . وهذا الذي قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير هذه الكلمة ، لا ما قاله بعض

المتأخرين ، من أن معنى (قل الله) أي : لا يكون خطاب لهم إلا هذه الكلمة ، كلمة

: " الله " وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمرا بكلمة مفردة من غير تركيب ، والإتيان

بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها . وقوله : (ثم ذرهم في

خوضهم يلعبون) أي : ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون ، حتى يأتيهم من الله اليقين

فسوف يعلمون ألهم العاقبة ، أم لعباد الله المتقين؟